

## جناح متمرّد



بشينة خليفة قاسم

كاتبة من البحرين

### الفتنة الكبرى

## هذا المطر..

## من ذلك الغيم!

أين العرب من قول  
رئيس وزراء ماليزيا  
الأسبق مهاتير  
محمد: أنا لست ضد  
التكنولوجيا الغربية..  
ولكنني في الجانب  
الأخر يجب أن أحافظ  
على هويتي الماليزية  
الإسلامية..، ألا  
يعتبر العرب فينفضوا  
عنهم غبار المصلحة  
الذاتية ويفيقوا من  
غفلة سرققتها وعود  
وأكاذيب زيفونية

■ الفتنة في المطلق تعني الإثارة، والإثارة تستوجب إما اليقظة من السبات والغفلة، وأما الغفلة والسبات عن اليقظة.. ولما كثر الحديث عن فتن آخر الزمان، وتم تداولها على كل لسان بشكل يكاد يكون يوميا وعلنيا، وجب علينا التفريق بين ما هو فتنة داخلية وفتنة خارجية ولسنا بصدد الحديث عن فتنة النساء - كفانا الله وإياكم شر نوابها -

على أن بواعث الفتن تختلف وتباين من قطر إلى آخر ومن منطلق إلى آخر.. ويبقى- بين هذه البواعث والتباينات جميعا- قاسم، جامع، مشترك بين بلدان الأمة العربية والإسلامية، لعل أبرزها وأكثرها جلاء: أن كثيرا من الفتن التي تضرب أراضينا العربية وتمزق أواصرنا القومية يدبرها أعداء الأمة ممن يترصون بنا ويكيدون المكائد لتضربتنا واقتالتنا، ففي فرقتنا وتهشمتنا قوة لهم ولسان حالهم يقول: ( فرق تسد).. فيبدأون لعبتهم الدينية بإغواء الشعوب المستضعفة بأمان وأمال عراض، واهمين إياهم بأنهم الأقدر والأكفأ على إدارة وتسيير شؤونهم الداخلية بمضردات جميلة كالعدل والحق والمساواة.. في الوقت الذي تتكالب بحوثهم ودراساتهم على تحميم ما جاء به الإسلام منذ 14 قرنا مضى حيث العدالة والاستقامة في الأداء السياسي والعمل، وحرية القول والعمل، وأشياء كثيرة مما تحويه مواثيق الأمم المتحدة اليوم..

يساعدهم في ذلك إعلام عربي موجه بات كل همّه الربح المادي المتسارع، حيث غدا يصارع أمواج العصر التكنولوجي والمضغوط بفضائيات تعتمد إلى خلخلة الوعي والحس الوطني لدى المواطن العربي بطرح أغان وفيديو كليببات تروج للحم الرخيص وتستثير الجنس- وتلك فتنة أخرى - بغية التفاتهم عن رؤية الحقائق واستبصار الغد بعين ثاقبة وهم في ذلك معذرون، فالجميع عار حاكم ومحكوم.. وهل أكثر من عربي- أنظمة الحكم أمام أمريكا وشقيقاتها!- عربي، وهل أكثر رقصا وهزلا من وعود وزرائنا وتصريحاتهم الختامية عند كل قمة عربية!؟

ثمّة مؤامرة كبيرة تحاك لضرب الكيان العربي في هويته وشخصيته، بتحويله إلى الاعيب صغيرة جدا يتحكم في إدارتها من هم في موقع القرار بإغراقنا في بحر من عسل العري الثقافي والفكري والصناعي، والحجة تكمن في تبادل المعلومات ومساييرة العصر وعدم التقوقع. جميل جدا.. أين العرب من قول رئيس وزراء ماليزيا الأسبق مهاتير محمد: " أنا لست ضد التكنولوجيا الغربية.. ولكنني في الجانب الأخر يجب أن أحافظ على هويتي الماليزية الإسلامية " .. ألا يعتبر العرب، فينفضوا عنهم غبار المصلحة الذاتية ويفيقوا من غفلة؛ سرققتها وعود أكاذيب زيفونية!؟

وكما أننا لا ننكر دور العامل الخارجي في إثارة الفتن والنعرات الطائفية في البلدان العربية، إلا أننا لا نستهن بحجم الضعف الداخلي لدى الشعوب العربية وأنظمتها الحاكمة، وكما يقول مالك بن نبي: ( هناك استعمار وهناك قابلية للاستعمار) أو كما يقول علي شريعتي ( هناك استحمار وهناك قابلية للاستحمار).. ومن يكن له القابلية لأن يركب أو يمتطى أو تثار الفتن بين صفوفه، فلا يلومن إلا نفسه.. والعامل الخارجي لا يفرض نفسه بقوة القسر والإجبار، إنما هو يبحث عن عوامل تساعده على فرض استعمار وتحيق مآربه.. ومن هنا فنحن بحاجة إلى آليات تبعث على

الوعي واليقظة في نفوسنا ونفوس أبنائنا بشكل آمن ومريح، ودونك القرآن والسنة أكبر وشيقتين تمداننا بحلول لمعضلاتنا وقضايانا.. ونحن بحاجة إلى دليل كامل ومتسق؛ توضح من خلاله سمات مثيري الفتن والآليات المطلوبة لأن نمارس عزلهم عن مجتمعاتنا، فقد يكون بعضهم حسن النية وقد يكون بعضهم سيء النية، وقد يكون البعض مغفلين فيستغلهم أهل الاستعمار أو أهل الاستحمار! إلا أن المهم في خطاب اليوم والأمة العربية في حالة إعادة وعي أن توجه خطابنا بصورة واضحة، بعيدة عن الغوغائية والسفسطائية.

وذلك لن يتحقق إلا بتكاتف الجهود ووحدتها ووضع معايير من أهمها:

أولا: تداول السلطة بيسر وسهولة دونما تعييب لأي فصيل من فصائل الأمة مهما كانت.

ثانيا: أن تكون النظم ذات نسق مفتوح لاستيعاب أي قوة من القوى الناشئة أو القائمة.

ثالثا: تأسيس المؤسسات القادرة على التنشئة السياسية السليمة، والتي لا تسمح بخلط الأمور لدى فصائل الأمة، والعمل على توضيح العلاقات بين الفصائل المختلفة وبينها وبين قياداتها بشكل دقيق، لا يتجاوز فيه أحد حدود الآخر.

رابعا: إقامة مؤسسات المجتمع المدني وتعزيزها واحاطتها بالضمانات الكافية، لتؤدي أدوارها بشكل سليم ولتوجد الضمانات الكفيلة بعدم لجوء أي فصيل إلى العنف أو العمل السري.

خامسا: تعديل برامج التربية والتعليم بشكل شامل ودقيق، بحيث يؤدي إلى تشكيل الإنسان المعتدل الذي يعرف ماله وما عليه وأن يقبل الآخر أيًا كان.

سادسا: العمل على إعادة بناء فكرة وحدة الأمة، ليكون للمواطنين أهداف عليا منها وحدة الأمة وبناء مشروعها الحضاري، لكي لا تنكفيء على ذاتها وتنفجر في دواخلها، والعمل على إيجاد أنواع من التكامل بين بلدان المسلمين والبلدان العربية بشكل عام.

وسبعا: هل المعارضة السياسية بالضرورة فتنة!؟

إلى أولئك نقول، إن للمعارضة فناً وأصولاً وأداب، كما أن للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أصولاً وأخلاقيات أوضاعها ابن تيمية وآخرون.. ولا بد أن يعرف المعارض آداب المعارضة، وكيف يمارسها، ومتى يمارسها، إذ أن مجرد خلط الأوراق وإذابتها بين رغبة تصحيح وضع معين ساند من البلد أو النظام وبين الوصول لكرسي السلطة من شأنه أن يغير مسار المعارضة الصحيحة، والذي هو في الأساس يعتبر سندا للحكم لا عدوا له، وأنه بارائه واختلافاته المتباينة يزكي قرارات الحكم ويساعده في الوصول للأفضل، شريطة أن يعي الحاكم بأهمية رأي المعارض.. فالوطن طائر لا يحلق بجناح واحد.. وخير معارضة هي تلك التي تقول للحاكم أخطأت في كذا وأصبحت في كذا، فإن أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر!؟

وأما القول بأن " سلطان غشوم، خير من فتنة تدوم " فذا مرده إلى قصر نظر وقلة حيلة يراد بها تضليل وضياح الأمة.. كقول أن نظام صدام حسين مثلا أفضل بكثير مما يعيشه العراق اليوم في الوضع الراهن.. ولكن العراق ما كان ليعيش وضعه الراهن لولا سياسة صدام.. فهذا المطر من ذلك الغيم!■